ما طرأ على
حدود فلسطين
منذ الحرب العالمية الأولى

شفيق

د. عبدالرحمن الشريف

تعتبر القضية الفلسطينية من أعقد قضايا العالم السياسية ، فقد شغلت أذهان الملايين على مدى قرن من الزمان ، وذلك لتعدد مظاهرها وتشابك المصالح الأجنبية التي تتصارع من حولها ، وتعمل على تصاعد التأزم ، الأمر الذي يقتضي اشتراك جيل بل أجيال من الباحثين الموضوعيين ، كل في مجال تخصصه لكشف جوانبها الغامضة ، وتسليط الضوء على زيف الادعاءات المتناقضة والتي استطاعت ـ بكل أسف ـ كسب السبق في ايهام الرأي العام العالمي .

كانت فكرة انشاء دولة تؤوي يهود العالم ـ في أي مكان ـ حلما من الأحلام راود أفكار رواد الصهيونية الأوائل خلال القرن التاسع عشر . وقد استطاع هؤلاء في نهاية ذلك القرن رسم الخطط لوضع هذه الفكرة موضع التنفيذ . ثم حددوا فلسطين مكانا لها . وبعد عمل دؤوب دام نصف قرن ، استغل غلاة الصهيونية خلاله الأوضاع العالمية واستثمروا بشكل

علمي ومنظم تناقض مصالح الدول العظمى ، وجهل وفقر الدول الصغرى وشعوبها ، وأنشأوا في سنة ١٩٤٨م دولة صغيرة على جزء من فلسطين قابلة للتوسع وصار لهم ماأرادوا .

اعتبر الصهاينة انشاء الدولة بداية العمل الجدي لتثبيت أركانها وترسيخ جذورها ، وترويض السكان الأصليين لقبول الأمر الواقع ، بعد أن قبل العالم بأجمعه وجودهم ، وذلك برفع مستواها العسكري والاقتصادي والحضاري بحيث تسبق جميع الدول المجاورة لها في جميع هذه المجالات . وكانت الخطة أن يدعوا أنهم محاطون بدول معادية ولابد من تأمين حدود آمنة لدولتهم . وبعد كل بضع سنين تصل الدولة الى وضع انفجاري تنوء بسكانها الذين يتزايدون عن طريق الهجرة ، وتثقل بترسانات الأسلحة ومخازن التموين والوقود والتي تخزن ليوم موعود .

عندها تفتعل حربا موضعية خاطفة توسع حدودها السياسية عقبها على حساب جاراتها مرة تلو الأخرى ، الى أن تصل أهدافها البعيدة وهي أن تتحول الى أكبر قوة ضاربة في المنطقة وتصل حدودها مابين النيل والفرات ، وتتحكم بمصائر واقتصاد شعوب هذه المنطقة الأصليين الذين يتحولون بالتدريج الى مستضعفين كما حصل للهنود الحمر في أمريكا .

ورغبة في القاء مزيد من الضوء على زيف شعار الحدود الآمنة لدولة اسرائيل ، هذا الشعار الذي ينال تعاطفا من معظم دول العالم ، بل يجد ضمانا من بعض الدول العظمى . رأيت أن يقتصر حديثي على تتبع خلق وتغير خطوط الحدود باستمرار ولصالح توسيع دولة اسرائيل بأسلوب موضوعي .

ومن هنا كان عنوان هذا البحث ما طرأ على حدود فلسطين منذ الحرب العالمية الأولى أي منذ وجود اقليم فلسطين ضمن حدود سياسية ، بعد أن انسلخ عن الدولة العثمانية وحتى الآن . ولما كانت لمشكلة الحدود أبعاد جغرافية وتاريخية وحقوقية وهي لا تتضح الا في ضوء تطور الأحداث التاريخية في المكان ، وجدت لزاما على الالمام ـ ولو بايجاز ـ بالفقرات التالية :

١ ـ موجز لجغرافية فلسطين .
٢ ـ ظهور الحركة الصهيونية في القرن التاسع عشر .
٣ ـ الاستعمار يرسم الحدود خلال القرن العشرين .
٤ ـ ايجاد دولة اسرائيل ضمن حدود مؤقتة سنة ١٩٤٨م .
٥ ـ محاولات اسرائيل المستمرة لتوسيع الحدود .

٦ ـ الحدود الآمنة كشعار زائف ·

٧ ـ الخاتمة ·

١ ـ موجز لجغرافية فلسطين :

تشغل فلسطين الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام أو (سوريا الكبرى) ، وتقع فيما بين الساحل الشرقي للبحر المتوسط ونهر الأردن · وتبلغ مساحتها حسب حدودها زمن الانتداب البريطاني ٢٧٠٠٩ كم بما في ذلك ٧٠٤ كم مساحة بحيرتي الحولة وطبريا ونصف البحر الميت · وتمتد فلسطين بشكل طولي على هيئة الاسفين من الشمال الى الجنوب ، بطول ٤٣٠ كم ، ويختلف عرضها بين ٥٠ كم في الشمال و ٩٠ كم في الوسط و ١١٧ كم (١) عند عرض رفح ، ثم تضيق باتجاه الجنوب على شكل مثلث رأسه على خليج العقبة ·

وتتكون فسلطين من أربع مجموعات فزيواغرافية مميزة في مظاهرها الطبيعية والبشرية (شكل ١) هي :

١ ـ السهل الساحلي : ويمتد من رأس الناقورة عند الحدود مع لبنان شمالا حتى رفح عند الحدود مع مصر جنوبا ، أي بامتداد يبلغ ٢٢٤ كم · ويتكون السهل من رسوبيات حديثة رباعية انحدرت اليه من المرتفعات المجاورة وكذلك من الرسوبيات الشاطئية والبحرية خاصة تلك التي تقذف بها التيارات البحرية من الغرب والتي جاءت أصلا من النيل وقد تشكلت بعض الكثبان الرملية الشاطئية · وتبلغ مساحة هذا السهل نحو ٣٢٢٠ كم معظمه صالح للزراعة (٢) ·

ويقسم جبل الكرمل الذي يمتد من حيفا باتجاه الجنوب الشرقي السهل الساحلي الى قسمين : سهل عكا في الشمال وهو ضيق اجمالا ، وسهل يافا (سهل شرعون) في الجنوب ، والذي يزداد اتساعا حتى يصل عرضه الى نحو ٣٢ كم في منطقة غزة ·

٢ ـ الهضاب الوسطى : وهي في الأصل جزء من المحدب الجيولوجي الغربي في بلاد الشام والذي نتج عن الحركة الالتوائية المرافقة للحركات الالبية في الزمن الثالث · وهي اجمالا قليلة الارتفاع تمتد طوليا من الشمال الى الجنوب · ويمكن أن نقسمها الى قسمين : القسم الأول جبال الجليل في الشمال ، وتعتبر امتدادا لجبل عامل في لبنان ، وفيه أعلى قمة في فلسطين قرب صفد (جبل جرمق ويصل ارتفاعه الى ١٢٠٨م عن سطح البحر) · والقسم الثاني جبال نابلس والخليل وتمتد طوليا ١٢٥ كم بعرض يقرب من ٢٠ كم · ويفصل القسمين عن بعضهما أراض منخفضة مختلفة نتجت

عن حركات انكسارية أنتجت هضاب الناصرية وسهول مرج ابن عامر وبيسان . وتتكون الهضاب بوجه عام من صخور كاسية تتضح فيها المظاهر الكارستية اذ تكثر فيها الكهوف وتختفي المياه السطحية بسرعة وتكثر الينابيع .

٣ ـ الغور : وهو المنطقة المنخفضة التي تفصل هضاب فلسطين عن هضاب شرق الأردن وقد نتج الغور في الأصل عن الانكسارات الثلاثية في منطقة المقعر الالتوائي الموجود بين المحدب الشرقي والمحدث الغربي ، وقد انخفض فيها السطح الى دون مستوى سطح البحر (٤٠٠ م عند سطح البحر الميت) .

ويجري في الغور نهر الأردن الذي ينبع من سفوح جبل الشيخ . وينحدر الى منطقة الحولة (وهي بمستوى سطح البحر) ، ثم يتجه جنوبا الى بحيرة طبريا (ـ ٢٠٠ م عن سطح البحر) ، وبعد خروجه من طبريا يستقبل مياه نهر اليرموك القادم من الشرق وهو أهم روافده . ثم يواصل مجراه بطريق التعرج الى أن يصب في البحر الميت الغني بأملاحه لا سيما البوتاسيوم . ويشغل الجزء الواقع جنوب البحر الميت وادي العربة .

يبلغ متوسط عرض الغور بين ٨ ـ ١٦ كم ولذلك تنحدر الأرض باتجاهه بشدة من الجانبين الشرقي والغربي ، وتتكون أرضيته من سهول رسوبية حديثة ذات تربة تميل للملوحة . ويبلغ طول البحر الميت ٧٦ كم واقصى عرض له ١٦ كم (٣) وترتفع فيه نسبة التبخر ولذا ارتفعت نسبة ملوحته الى ٣٤٠ غم/لتر .

٤ ـ النقب : ويتكون من هضبة واسعة قليلة الارتفاع تحتل الجزء الجنوبي من فلسطين وتبلغ نحو ثلث مساحتها ، تبدأ من منطقة بئر السبع وتتجه جنوبا الى العقبة . وتعتبر هذه الهضبة امتدادا طبيعيا لشمال صحراء سيناء باتجاه الشمال الشرقي .

المناخ وموارد المياه في فلسطين :

يسود فلسطين مناخ حوض البحر المتوسط المعتدل ، والذي يميل الى الحرارة والجفاف صيفا والى البرودة والأمطار شتاء ، غير أن موقع فلسطين بين خطي عرض ٣٠° ـ ٣٣° ش ، وفي الزاوية الجنوبية الشرقية للبحر المتوسط ، جعلها تقع على حدود المنطقة شبه الجافة ، ففي جنوب فلسطين (النقب) وفي منطقة الغور التي تقع في ظل مطر الهضاب تقل الأمطار الساقطة عن ٢٠٠ ملم سنويا وتبلغ مساحتها نحو نصف مساحة فلسطين .

أما النصف الآخر فتختلف أمطاره حسب الموقع والتضاريس ، حيث

تتراوح في الساحل بين ٦٥٠ ملم في عكا و ٣٠٠ ملم في غزة . وتختلف في الجبال بين ٩٠٠ ملم في المطلة على الحدود الشمالية و ٥٠٠ ملم في الخليل . وقد يتساقط الثلج في المناطق الجبلية في الشتاء (٤) .

ومن هنا كانت موارد المياه في فلسطين محدودة على عكس ما كان يشيع غلاة الصهيونية فغير نهر الاردن الذي يحد فلسطين من الشرق والذي ينبع من سفوح جبل الشيخ ويستقبل عددا محدودا من السيول من الأرض الفلسطينية لا يوجد سوى نهرين صغيرين في السهل الساحلي هما : نهر المقطع ويصب شمال حيفا ، ونهر العوجا ويصب شمال يافا وعدد من السيول غير الدائمة الجريان . ولكن تكثر العيون الفكلوزية في المناطق الجبلية بسبب طبيعة الصخور الكليسية ، وتحوي السهول الساحلية غشاء مائيا كافيا لتقوم عليه الزراعة .

ويغلب وجود (تربة البحر المتوسط) في جبال وسهول وكلها ترب غنية اجمالا ، مما ساعد على انتشار الزراعة اعتمادا على الأمطار منذ أقدم الأزمنة . ولكن هذا لا ينفي أن محدودية موارد المياه تحدد مجال التوسع الزراعي على نطاق كبير . ولهذا خطط الصهاينة منذ البداية وقبل وجودهم في فلسطين لاستغلال مياه نهر الاردن والأنهار والسيول الساحلية من أجل مشاريعهم الاستيطانية .

وضع فلسطين قبل الانتداب البريطاني :

كانت فلسطين منذ الفتح العربي الاسلامي عام ٦٣٦م ، بلادا عربية خالصة شعبا ولغة وديانة . وكانت تشكل جزءا صغيرا من الدول العربية المتعاقبة ، تتبع الحكم المركزي في المدينة أو دمشق أو بغداد أو القاهرة أو استانبول مركز الخلافة اذ ذاك . وبالتالي لم تعرف فلسطين الحدود السياسية . وحتى في عهد الدولة العثمانية كانت أراضيها جزئين من ايالتين مركزاهما دمشق وبيروت وليس جزءا في ايالة واحدة . وفي عام ١٩١٨م ولأول مرة في التاريخ سلخت فلسطين عن بلاد الشام ، وصار لها حدود سياسية ترسم ويعاد رسمها حسب مخططات الاستعمار والصهيونية . وكان يعيش فيها نحو ٧٠٠ ٠٠٠ من العرب يملكون نحو ٩٧ر٥٪ من مساحة فلسطين ويعيش معظمهم من انتاج أراضيهم أو حيواناتهم . ولم يتجاوز عدد يهود فلسطين اذ ذاك ٥٠ ٠٠٠ نسمة ولا يملكون سوى ٢ر٥٪ من مساحة الأرض ، وكانت ثلث مساحة أرض فلسطين صالحة للزراعة .

٢ ـ ظهور الصهيونية العالمية في القرن التاسع عشر :

ظهرت القوميات في أوروبا في القرن التاسع عشر ، وكرد فعل لانعزالية اليهود نشط غلاتهم للترويج ليهوديتهم ، وراحوا يدعون يهود

العالم للتنظيم ليبعثوا فيهم روح اسرائيل ومجدها ، مستمدين من التوراة والتلمود شواهد القوة والانبعاث ·

أعلنوا أن اليهودية دين وشعب وقومية ، ودعوا اليهود الى التكتل كشعب ، والى تعلم اللغة العبرية والى ولائهم الى قوميتهم الجديدة لا الى القوميات التي خلقوا فيها · وكان هذا هو بدء ظهور اليهودية بمظهرها الجديد الذي أطلق عليه اسم (الصهيونية) نسبة الى جبل صهيون في مدينة القدس · فنشأت المشكلة اليهودية في معظم دول اوروبا وتعمقت هذه المشكلة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حتى تحولت الى صراع وطني داخلي ، حيث كانت عنصريتهم تظهر بمظهر الأجانب ، وتظهر احتكاراتهم ورأسمالهم كالاحتكارات ورؤوس الأموال الأجنبية ولقد أثار ذلك حفيظة الشعوب ضدهم فحاربوهم ، وقد تطور هذا الصراع أحيانا الى درجة الاضطهاد ·

وعلى اثر الاضطهادات التي حلت باليهود في رومانيا وروسيا وبولونيا في عام ١٨٨١م أصدر سمحا بينكر ـ أحد زعمائهم ـ كتابا أسماه (التحرير الذاتي) أوضح فيه أن العالم يحتقر اليهود لأنهم ليسوا أمة ولأنهم أجانب في كل بلد يعيشون فيه ، وليس من علاج لهذا الداء الا بايجاد قومية يهودية لشعب يعيش في أرض الوطن (٥) فاثار هذا النداء حماس غلاة اليهود ، فالفوا جمعية باسم (عشاق صهيون) تدعو الى أحياء اللغة العبرية والى الهجرة الى فلسطين والسيطرة على أراضيها (٦) ·

أعلن اليهود اثر اجتماع عقدوه في ١٨٨٢م · أن فلسطين يجب أن تكون وطنا للشعب اليهودي ، وأن بالامكان نقل أهل فلسطين العرب الى الأقطار العربية المجاورة لأنها بلاد واسعة وقليلة السكان · · ولم يكن في فلسطين وقتها أكثر من ١٢ الف يهودي · ثم أعلن اسرائيل زانكويل مؤسس المنظمة الصهيونية (أن فلسطين وطن بلا شعب ، فيجب أن تعطى لشعب بلا وطن · وان واجب اليهود في المستقبل أن يضيقوا الخناق على سكان فلسطين العرب حتى يضطروا الى الخروج منها (٧) ·

وأعلن تيودور هرتزل الصحفي النمساوي في كتابه (الدولة اليهودية) في عام ١٨٩٥م (ان الحل لجميع مشكلات اليهود المضطهدين في هذا العالم هو قيام الدولة اليهودية على رقعة من الأرض متسعة تصلح لانشاء وطن محدد لهم (٨) · وفي المؤتمر الصهيوني العالمي الذي عقد في بال سنة ١٨٩٧م الذي ترأسه هرتزل أجمعت الصهيونية العالمية على انشاء وطن قومي للشعب اليهودي ونص في قراراته أن تكون البلاد كافية لحاجات خمسة عشر مليونا من اليهود المشتتين في أنحاء العالم (٩) وأقر المؤتمرون

علم الدولة المنتظرة ونشيدها القومي · ورسموا هيكل الوكالة اليهودية التي ستتولى تنظيم يهود العالم وقيادتهم للعمل على تحقيق هذه الدولة ·

غير أن هرتزل فشل في سنة ١٩٠١م في اقناع السلطان عبد الحميد لمنح اليهود امتيازات دينية تخولهم انشاء المستعمرات وشراء الأراضي في فلسطين رغم اغراءات اليهود المالية والاقتصادية ودعاياتهم الخادعة ·

٣ ـ الاستعمار يرسم حدود فلسطين ويطورها في القرن العشرين :

لو لم تتفق أحلام الصهيونية مع مصالح الاستعمار وخططه منذ مطلع القرن العشرين خاصة بريطانيا لبقيت جميع قرارات الصهيونية ومخططاتها أماني وأحلاما · وعلى سبيل المثال حاولت بريطانيا منذ مطلع القرن ايجاد جبهة استعمارية موحدة تضم بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وايطاليا وأسبانيا لتحاشي الصدام فيما بينها ، ولقطع الطريق على حركات استقلال المستعمرات والوقوف أمام ألمانيا وحليفاتها · واتفقوا على تأليف لجنة من خبراء هذه الدول تتولى دراسة الحلف الجديد ضمت مشاهير المؤرخين وعلماء الاجتماع والجغرافيا والاقتصاد والنفط والزراعة وغيرهم · وقد اجتمعت هذه اللجنة في لندن سنة ١٩٠٧م · وقد جاء في الخطاب الافتتاحي لرئيس وزراء بريطانيا (هنري كامبل بندمان) في تحديد مهمتها (١٠) مايلي :

« ان الامبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تستقر الى حد ما ، ثم تنحل رويدا رويدا ثم تزول ، والتاريخ مليء بمثل هذه التطورات ، فهناك امبراطوريات روما وأثينا والهند والصين وقبلها بابل وأشور والفراعنة وغيرها ·· فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون سقوط الاستعمار الأوروبي أو انهياره أو تؤخر مصيره وقد بلغ الآن الذروة ، وأصبحت أوروبا قارة قديمة استنفدت مواردها وشاخت معالمها ، بينما العالم الآخر لايزال في شبابه يتطلع الى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية ··· ؟ هذه مهمتكم أيها السادة ، وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا ·· »

بعد دراسة مستفيضة دامت أشهرا قدمت اللجنة تقريرها الى وزارة الخارجية البريطانية التي أحالته الى وزارة المستعمرات لخطورته · وقد جاء في مقدمة التقرير تصنيفا لمصالح الدول الاستعمارية في العالم · ثم انتقل الى اثبات أهمية البحر المتوسط كشريان حيوي ، وضرورة السيطرة عليه لحماية المصالح الاوروبية المشتركة · واستعرض التقرير الأخطار المحتملة على الاستعمار ، وصنفها الى أولويات ، ووجد الباحثون أن الخطر يكمن في البحر المتوسط ، صلة الوصل بين الشرق والغرب · وعلى طول

ساحله الجنوبي والشرقي وعلى جانبي البحر الأحمر وقناة السويس بينهما ، والبحر العربي والخليج العربي يعيش شعب واحد تتوفر له من وحدة تاريخه ودينه ولغته وثقافته وأماله كل مقومات الترابط والاتحاد ، وتتوفر في نزعاته التحررية وفي ثرواته الطبيعية ، ومن كثرة تناسله كل أسباب القوة والتحرر والنهوض . ثم تساءل الباحثون في تقريرهم عن وضع المنطقة اذا توحدت فعلا أمال شعبها ؟ واذا دخلت الوسائل الفنية الحديثة والمكتسبات الصناعية اليها ؟ واذا انتشر التعليم وعمت الثقافة في أوساط أفرادها واذا استغل أهلها ثرواتها ؟ .

يجيب التقرير على هذه التساؤلات : عند ذلك ستحل الضربة القاضية حتما بالامبراطوريات الاستعمارية وستتبخر أحلام الاستعمار بالخلود ، فتتقطع أوصاله ثم يضمحل وينهار كما انهارت الامبراطوريات الغابرة . ثم يضع التقرير توصياته لتلافي هذا المصير ومؤداها أن تعمل الدول ذات المصالح المشتركة على بقاء وضع هذه المنطقة المجزأ المتأخر ، وابقاء شعبها على ما هو عليه ، ومحاربة اتحاده بأي رباط . وكوسيلة مستعجلة لدرء الخطر أوصى التقرير بضرورة العمل على فصل الجزء الافريقي من هذه المنطقة عن جزئها الأسيوي ، واقترح لذلك اقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط آسيا بافريقيا ويربطهما معا بالبحر المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة (١١) .

وعلى ضوء هذه التوصيات سارت سياسة الدول الاستعمارية جميعا في الوطن العربي منذ مطلع القرن العشرين ، وعلى هديها يمكننا تفسير مواقفهم من جميع القضايا العربية وتصرفاتهم فيها قبل استقلال دول هذه المنطقة وبعده ، ويوضح محتواها التقاء فكرة الصهيونية مع مصالح الاستعمار ، هذا الالتقاء الذي استغله زعماء الصهيونية بذكاء واستثمروه الى أقصى حد .

اتفقت بريطانيا بادىء ذي بدء مع زعماء الصهيونية على تأسيس دولة اسرائيل في فلسطين فقد عرضت على مصر في سنة ١٩٠٧م اقتراحا يقضي باستيطان اليهود في سيناء ، ثم عرضت على الصهيونيين استيطان اليهود في أوغندة كمنطقة تجمع مؤقتة قبل نقلهم الى فلسطين لأن فلسطين كانت خارجة عن النفوذ البريطاني وفشلت في ذلك . وأثناء الحرب العالمية الأولى ألزمت بريطانيا نفسها بثلاثة اتفاقات أو عهود متناقضة مع ثلاثة جهات مختلفة تتعلق بالمنطقة العربية (١٢) ومنها فلسطين وهي :

١ ـ مباحثات حسين ـ مكماهون من تموز سنة ١٩١٥م حتى آذار سنة ١٩١٦م . وقد تعهدت بريطانيا من خلالها للحسين بتمكينه من تأسيس

مملكة في جميع المشرق العربي تمتد من أضانة ومرسين في الشمال ومن حدود ايران والخليج العربي في الشرق الى المحيط الهندي جنوبا ، والبحر الأحمر وسيناء غربا ، بما في ذلك فلسطين بطبيعة الحال ، مقابل مساعدة العرب لجيوش الحلفاء في القضاء على الدولة العثمانية · وقد ساهم العرب فعلا في القضاء على تركيا لكنهم لم يحققوا شيئا من أمانيهم ·

٢ ـ اتفاقية سايكس ـ بيكو : أبرمت بريطانيا في آذار سنة ١٩١٦م مع فرنسا وروسيا معاهدة بطرسبرج لتقسيم أملاك الدولة العثمانية بعد القضاء عليها · وتنفيذا لهذه المعاهدة أبرمت بريطانيا وفرنسا اتفاقا تفصيليا لاقتسام الممتلكات العربية بينهما أطلق عليها اسم اتفاقية « سايكس ـ بيكو » ، في أيار سنة ١٩١٦م · وكان من نصوصه : تنشأ ادارة دولية في فلسطين يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بعض الحلفاء وممثلي شريف مكة · وتظهر في هذا النص نية بريطانيا المبيتة لمحو عروبة فلسطين ومن ثم تهويدها ·

٣ ـ وعد بلفور : وهو تصريح سياسي صدر عن وزير خارجية بريطانيا وموجه الى ادموند روتشيلد أحد زعماء الصهاينة في ٢/١١/١٩١٧م، وكان قد اقترن بموافقة حكومات الحلفاء قبل نشره وبصورة خاصة ويلسون رئيس الولايات المتحدة · وينص الوعد على ماياتي :

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي · وسوف تبذل أفضل جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية ، على أن يفهم جليا أنه لا يجوز عمل شيء قد يغير الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين ولا الحقوق أو المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلاد غيرها » (١٣) ·

وما أن انتهت الحرب العالمية الاولى بفوز الحلفاء واحتلال فلسطين حتى بدأت بريطانيا والصهيونية جديا في تنفيذ ما أضمروه لفلسطين · وكانت خطواتهم مدروسة وتحظى باقرار وتأييد دول الحلفاء بحيث كان « يدور البحث فيما بينهم فقط حول حدود هذه الدول وموعد اعلانها » حسب تصريح المستشار السياسي للجنرال اللنبي الكولونيل ماينز تساغن (١٤) · وكانت الدولة العربية التي نشأت عقب الحرب بزعامة فيصل بن الحسين تسيطر على سوريا الداخلية من حلب الى العقبة ·

نشط زعماء الصهيونية مستخدمين كل السبل للتأثير على مؤتمر الصلح الذي أعقب الحرب وللاشتراك في تخطيط المعاهدات والمواثيق التي انبثقت عنه ، موجهين اهتمامهم نحو هدفين : الأول محاولة وضع فلسطين تحت الحكم البريطاني ، والثاني محاولة توسيع حدود فلسطين الى أقصى

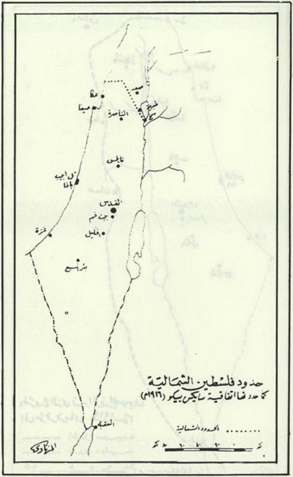
صفد
عكا
حيفا
الناصرة
طبرية
سمخ
نابلس
تل ابيب
يافا
القدس
بيت لحم
الخليل
غزة
بئر السبع
العقبة
الحدود الشمالية
كم
الزركلي

حدود فلسطين الشمالية
كما حددتها اتفاقية سايكس بيكو (١٩١٦م)

شكل رقم ٢

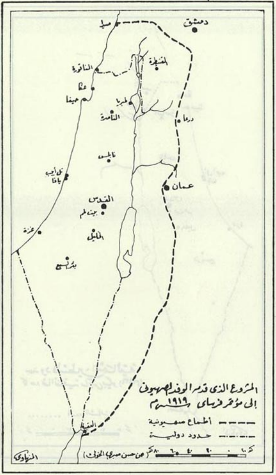
دمشق
صيدا
القنيطرة
الناقورة
عكا
حيفا
طبريا
الناصرة
درعا
نابلس
تل أبيب
يافا
عمان
القدس
بيت لحم
غزة
الخليل
بئر السبع
العقبة
المشروع الذى قدمه الوفد الصهيونى
إلى مؤتمر فرساى ١٩١٩م
أطماع صهيونية
حدود دولية
كم ٠ ١٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ كم
(عن حسن صبري الخولي)
المنياوي

شكل رقم ١

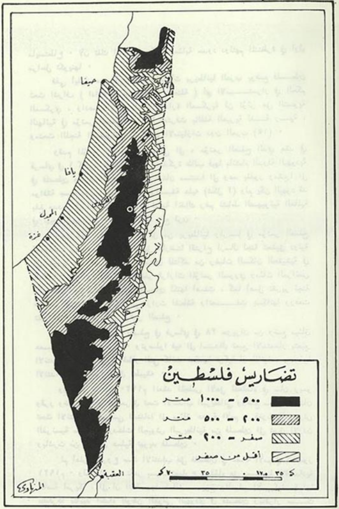
تضاريس فلسطين
٥٠٠ - ١٠٠٠ متر
٢٠٠ - ٥٠٠ متر
صفر - ٢٠٠ متر
أقل من صفر
ك ٣٥ ١٧٫٥ ٠ ٣٥ ٧٠ كم
حيفا
يافا
المجدل
غزة
البحر الميت
العقبة

مايستطاع . لأن تلك الحدود ستكون بمثابة حدود دولتهم المنتظرة في أول مراحل تكوينها .

ففي أيلول من عام ١٩١٨م فاجأت بريطانيا العرب بوضع فلسطين تحت اشراف (ادارة أراضي العدو المحتلة) أي الاستمرار في الحكم العسكري ، وادعت أن اجراءات الادارة العسكرية لن تؤثر على التسوية النهائية في مؤتمر الصلح . لكنها اعترفت باللغة العبرية لغة رسمية ، ومنحت اللجنة الصهيونية كثيرا من الامتيازات دون العرب (١٥) .

وقدم المؤتمر الصهيوني العالمي الى « مؤتمر الصلح الذي عقد في فرساي في ١ كانون الثاني ١٩١٩م مذكرة طالب فيها بانشاء الدولة اليهودية في فلسطين وشرق الأردن وجنوب لبنان مستندا الى وعد بلفور ومشيرا الى موافقة جميع دول الحلفاء التامة والمسبقة عليه (شكل ٢) ولم يكن اليهود قد بلغ عددهم في فلسطين ٥٠ ألف نسمة آنذاك رغم نشاط الصهيونية العالمية في تهجير اليهود الى فلسطين خلال ربع قرن .

ومن جهة أخرى تنكرت كل من بريطانيا وفرنسا في مؤتمر الصلح لوعودهما وعهودهما للعرب ، بل عارضتا اقتراح ارسال لجنة تحقيق دولية الى سوريا بما فيها لبنان وفلسطين للتأكد من رغبات السكان الحقيقية في الحكم . وقد وصلت الى المؤتمر قرارات المؤتمر السوري ومئات العرائض التي تعبر عن رغبات سكان فلسطين لكنها أهملت ، كما أهمل تقرير لجنة كنج – كرين الأمريكية التي زارت المنطقة واتصلت بسكانها ورفعت تقريرها الموضوعي الى مؤتمر الصلح .

وقد انتهى مؤتمر الصلح في فرساي في ٢٨ حزيران من وضع ميثاق عصبة الأمم ومن توقيعه . وتوصلوا فيه الى استبدال تعبير الاستعمار بتعبير الانتداب لحل مشاكل الأقطار التي كانت تحكمها تركيا أو ألمانيا ، وصنفوا الانتداب وأوضحوا طرق تطبيقه .

وفي ٢٥ نيسان ١٩٢٠م انعقد المجلس الأعلى للحلفاء في سان ريمو وقرر وضع فلسطين والعراق تحت الانتداب البريطاني ووضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي استنادا الى ميثاق عصبة الأمم . فغزت الجيوش الفرنسية سوريا ، ودخلت الجيوش البريطانية من فلسطين الى شرق الاردن وباشرت من القدس عملية تهويد فلسطين .

ثم أعلن مشروع صك الانتداب على فلسطين في عصبة الأمم في ٦ تموز ١٩٢١م . ولكن اقراره تأخر بسبب تصارع الحلفاء على مصالحها الاقتصادية خاصة أمريكا ، الى أن اتخذ مجلسا الشيوخ والنواب الأمريكيان قرارا مشتركا بتأييد انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين وباقرار صك

انتداب بريطانيا عليها ، وضرورة عقد معاهدة مع بريطانيا تضمن المصالح الأمريكية بفلسطين (١٦) ٠

أقرت عصبة الأمم مشروع صك الانتداب كما اقترحته الجمعية الصهيونية على بريطانيا دون تبديل ٠ وقد أشير في مقدمته الى وعد بلفور وموافقة دول الحلفاء على انشاء الوطن القومي اليهودي ومسؤولية الدولة المنتدبة في انشائه ٠ وأوضحت مواد المشروع سبل تهويد فلسطين والتخلص من شعبها ، وذلك باعطاء الدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والادارة حتى تضع البلاد في أحوال سياسية وادارية واقتصادية تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي » ، « والاعتراف بوكالة يهودية صالحة لاسداء المشورة والمعونة الى ادارة فلسطين في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها » ٠ « وتسهيل هجرة اليهود ، والاستيلاء على الأراضي الأميرية والأراضي الموات ، وتسهل اكتساب الجنسية الفلسطينية لليهود ، وأن تكون الانجليزية والعربية والعبرية لغات فلسطين الرسمية (١٧) ٠

وهكذا نجح الاستعمار والصهيونية في وضع فلسطين تحت السيطرة البريطانية ٠ أما بالنسبة لتقرير حدودها فقد طالب الصهاينة منذ البدء أن تضم فلسطين ضمن حدودها شرق الأردن وجنوب لبنان وجنوب غرب سوريا وصحراء سيناء ٠ غير أن اتفاقية سايكس ـ بيكو اعتبرت فلسطين بين نهر الأردن وساحل البحر المتوسط ، ويفصلها عن مصر صحراء سيناء ، ويفصلها عن لبنان خط يبدأ من رأس الناقورة على البحر الى منتصف المسافة بينها وبين بحيرة الحولة ، ثم يتجه نحو الجنوب الشرقي الى بحيرة طبريا ، ثم الى سمخ في جنوب البحيرة مباشرة (شكل ٣) ٠

غير أن المفاوضين البريطانيين وبالحاح من زعماء الصهيونية استطاعوا تعديل هذا الخط عدة مرات لصالح حدود فلسطين قبل الوصول الى التسوية النهائية (١٨) ٠ وكانت المنطقة التي تلي هذا الخط شمالا تتبع الادارة الفرنسية حتى تم توقيع اتفاق لويد ـ كلمنصو في سبتمبر ١٩١٩م فأصبح خط الحدود الشمالي يمتد من رأس الناقورة الى شمال بحيرة طبريا وأدخلت طبريا ضمن فلسطين (شكل ٤) ٠

وفي الاسبوع الأخير من أكتوبر ١٩٢٠م تم التوصل الى وضع حدود مؤقتة تبدأ من الناقورة غربا وتسير الى الشرق باستقامة الى مقربة الحولة ، ثم جنوبا بخط مستقيم يقسم طبريا حتى سمخ ـ وضمت بذلك الجليل الأعلى واصبعا باتجاه الشمال عرضه ١٢ كم (شكل ٥) ٠

ثم زحفت هذه الحدود حسب اتفاقية باريس في ديسمبر ١٩٢٠م شرقا لتضم كل بحيرة طبريا وشريطا من ساحلها الشرقي عرضه في جنوبها ٤ كم ، ثم الى نهر اليرموك ليسير خط الحدود مع هذا النهر مسافة

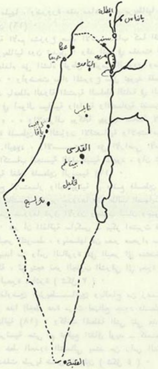
المطلة
بانياس
طبريه
عكا
حيفا
الناصرة
نابلس
تل أبيب
يافا
القدس
بيت لحم
الخليل
بئر السبع
العقبة

حدود فلسطين الشمالية
قبل أن ينتهي مؤتمر الصلح (١٩٢٠م)

...... الحدود الشمالية
كم

١٥ كم (١٩) · ولا تتجاوز مساحة ماضم الى فلسطين جميعا ١٠٠٠ كم · وهي مساحة تافهة لا تستحق أن تنحدر بريطانيا العظمى التي كانت لا تغيب عن ممتلكاتها الشمس وتساوم حليفتها فرنسا عليها · ولكن يزول هذا العجب اذا تذكرنا أن الصهاينة كانوا من وراء هذا التغيير لتضم معظم موارد مياه نهر الاردن ·

بقيت حدود فلسطين في عهد الانتداب البريطاني كما رسمت في سنة ١٩٢٠م · غير أن بريطانيا عملت علنا خلال هذه الفترة على تهويد فلسطين · فعينت في حزيران ١٩٢٠م أي قبل صك الانتداب ومعاهدات الصلح وعصبة الأمم الصهيوني هربرت صاموئيل أول مندوب سامي لفلسطين ، الذي هود الادارة ووضع القوانين التي سهلت نقل ملكية أراضي الدولة الى اليهود ، والتي أثقلت كاهل الفلاحين حتى يبيعوا أراضيهم لتسديد ديونهم ، وأعطى امتيازات توليد الطاقة الكهربائية واستغلال أملاح البحر الميت والاسمنت والزيوت النباتية لليهود وفرض الحماية الجمركية لمنتوجاتهم ، وشجع استيراد الحبوب والمنتوجات التي ينتج مثلها العرب ، واعتبر الوكالة اليهودية هيئة استشارية للسلطة ، وأهم من هذا سهل الهجرة اليهودية بشتى الوسائل (٢٠) ، حتى بلغ عدد المهاجرين في عهده وحتى سنة ١٩٢٨م ١٠٣ آلاف مهاجر (٢١) ·

واستمرت سياسة بريطانيا على هذا النسق حتى نهاية عهد الانتداب سنة ١٩٤٨م رغم استنكار العرب وكفاحهم وثوراتهم ضد الانتداب والصهيونية ، ورغم وعود بريطانيا وسياسة لجان التحقيق وتقصي الحقائق والكتب البيضاء ومراوغاتها للعرب ·

دخلت بريطانيا فلسطين سنة ١٩١٨م وفيها ٧٠٠ ٠٠٠ عربي و ٥٠ ٠٠٠ يهودي ، وخرجت منها عام ١٩٤٨م بعد مانجحت في تكوين دولة اسرائيل في فلسطين وفيها ٦٢٩٠٠٠ يهودي وطردت العرب منها الذين تحولوا الى لاجئين ولم يبق منهم سوى ١٨٠ ٠٠٠ عربي واستولت على أراضيهم حيث قدر أن ٨٠٪ من مساحة اسرائيل أخذت من العرب حسب أحد القوانين التالية :

١ ـ قانون المناطق المهجورة ·
٢ ـ لائحة الطوارىء ·
٣ ـ لائحة أملاك الغائبين ·
٤ ـ قانون أملاك الغائبين ·
٥ ـ قانون نقل الملكية ·

٤ ـ تقسيم فلسطين وخلق دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨م :

اعتمدت الصهيونية في تحقيق مأربها خلال نصف قرن الى حد كبير على بريطانيا ، غير أنها منذ بدء الحرب العالمية الثانية بدأت تتحول نحو امريكا حيث التقت أهدافهما في خط واحد خاصة وأن أمريكا خرجت من الحرب كأقوى دولة في العالم ، وتسعى لبسط نفوذها في كل مكان ومنها المنطقة العربية التي كانت تحت النفوذ البريطاني أو الفرنسي . فوجدت في خلق كيان اسرائيل بمساعدتها مدخلا لها كقاعدة أمينة ورأس جسر ثابت لامتدادها وسيطرتها . وكانت قد هيمنت على معظم دول الأمم المتحدة وصارت تتحكم في قراراتها .

وأثناء الحرب العالمية الثانية كانت بريطانيا وكل دول الحلفاء قد تنكرت لوعودها وعهودها المقطوعة للعرب ، وبدأت تتسابق في ارضاء الصهيونية وكسب ودها متذرعة بمأساة اليهود في المانيا : وبذلك بدأ عهد التألف الانجلو ـ أمريكي ـ الصهيوني .

وحينما اطمأنت بريطانيا أنها هيأت فلسطين لتكون وطنا لليهود ، وبعد دراسة المشكلة مع أطراف المؤامرة الثلاثة أرسلت في نيسان ١٩٤٧م مذكرة للأمم المتحدة ذكرت فيها أنها عجزت عن التوفيق بين شعبي فلسطين العربي واليهودي ، وطلبت اعفاءها من الانتداب على فلسطين ، وكانت قد بدأت بسحب جيوشها قبل ذلك التاريخ بشهرين .

وفي ١٩٤٧/١١/٢٩م صدر قرار الجمعية العامة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود بأغلبية الأصوات نتيجة لضغوط أمريكا بشكل سافر لانجاح القرار ، وقد كشف الفرد ليلينتال جانبا من هذه الضغوط (٢٢) . وقال الكاتب الأمريكي ميلر بورروز (الواقع أن التصويت) على التقسيم انما فرض من جانب حكومتنا فرضا ، وبعد أن التجأت هذه الحكومة من غير أن تخجل الى اصطناع أساليب التهديد السياسي ... وكان نجاح المشروع نصرا لا أخلاقيا ، وكان برهانا مخجلا على أن أساليب التهويل والضغط الدبلوماسي غير المتحفظة تستطيع أن تسيطر على مؤسسة أنشئت لغرض نبيل) (٢٣) .

ويقضي مشروع القرار بتقسيم فلسطين الى ثلاثة أقسام هي : (شكل ٦) .

١ ـ المنطقة العربية وتتكون من ثلاثة مناطق معزولة عن بعضها هي الجليل الغربي ، ومنطقة الهضاب الوسطى والغور الأوسط ما عدا منطقة القدس ، ومنطقة الساحل من جنوب أسدود الى الحدود المصرية . وتبلغ مساحتها ١٢٠٠٠ كم أي ٤٤ر٤٪ من مساحة فلسطين لا يملك اليهود منها سوى ١٠٠ كم ويقطنها ٦٥٠ ٠٠٠ عربي و ١١ ٠٠٠ يهودي .

٢ ـ المنطقة اليهودية وتمتد من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب وتحيط بالمناطق العربية الثلاث من كل جانب وتبلغ مساحتها ١٤ ٢٠٠ كم اي نحو ٥٣٪ من مساحة فلسطين . ويملك العرب الذين يشكلون ٤٦ر٥٪ من سكانها نحو ثلثي مساحتها .

٣ ـ الأماكن المقدسة وتشمل منطقة القدس وتقع في وسط المنطقة العربية الجبلية ، وتسلم لمجلس وصاية يتبع الأمم المتحدة . وكان يقطنها ١٥٠ ٠٠٠ عربي ، ١٠٠ ٠٠٠ يهودي . (أنظر الشكل) .

ثم أعلنت بريطانيا سحب آخر قواتها قبل ١٥/٥/١٩٤٨م ، غير عابئة بواجبها كدولة منتدبة ولا بنداءات مجلس الأمن . وقد أخلت المناطق المخصصة لليهود أولا ، فاستولى هؤلاء عليها ، وسلمتهم خط استحكامات ايدن (٢٤) في الجليل الأعلى وكثير من المعسكرات والمطارات بأسلحتها ومعداتها وحتى المراكز الحكومية . في حين بقيت تحافظ على واجبها في المنطقة المخصصة للعرب ، فقاومت ادخال الأسلحة والمتطوعين وأي مظهر من مظاهر المقاومة . وقد أدت هذه السياسة الى قتل وتشريد معظم العرب العزل المقيمين في المناطق التي يكثر فيها اليهود ، وساءت حالة المناضلين العرب وعم الزعر والسخط في كافة البلاد العربية (شكل ٧) .

فرأت بريطانيا أن الفرصة قد سنحت لتضرب الفلسطينيين ضربة قاصمة ، وذلك بعزلهم نهائيا عن قيادة وتنظيم حركتهم ، وتسليم هذه القيادة للجامعة العربية . وكانت ثلاثة من دول الجامعة السبعة مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدات ، وكان لبريطانيا بموجبها اشراف كامل على جيوشها ، وكانت الدول الباقية ضعيفة لا حول لها ولا قوة .

ازاء هذه الأحداث أعلنت لجنة الجامعة العربية في ١٢ نيسان ١٩٤٨م فجأة دخول الجيوش العربية بعد ١٥ أيار لتحرير فلسطين وأبطال قرار التقسيم . واتخذت الجامعة عدة قرارات فرعية اعتبرت كتنظيمات ضرورية لسلامة الجيوش الزاحفة (٢٥) هي :

١ ـ اعتبار الجيوش العربية هي الوسيلة الوحيدة الصالحة لحماية عرب فلسطين . ولذلك توقفت المساعدات نهائيا ـ رغم ضآلتها ـ عن المجاهدين الفلسطينيين .

٢ ـ حل جميع المنظمات العسكرية الشعبية في فلسطين وتوقيف نشاطها وابعادها عن ميدان المعركة . وكانت النتيجة التخلص من الخطر الأساسي على كيان اسرائيل وبالتالي استطاع اليهود تصفية العرب من كثير من المناطق عجزوا عن الوصول اليها قبل دخول الجيوش العربية .

٣ ــ عزل جميع الأحزاب والهيئات السياسية الفلسطينية عن مباشرة معالجة قضية فلسطين وترك هذه المهمة للجامعة ٠ علما بأن هذه الهيئات هي التي وقفت بصلابة بوجه الخطط والمؤامرات وقادت الكفاح ضد بريطانيا والصهيونية ٠

٤ ــ وضع خطة عسكرية مشتركة لجميع تحركات الجيوش العربية في فلسطين ، وتكوين هيئة قيادة عامة وتعيين القائد الأعلى للجيش الاردني رئيسا لها وبالتالي تعيين رئيس أركانه الجنرال البريطاني جون جلوب قائدا عاما للجيوش العربية بفلسطين ٠

٥ ــ اعلان حالة الطوارىء والأحكام العرفية في البلاد العربية ، وذلك لضرب الحركات الوطنية تحت شعار مكافحة النشاط الهدام ٠

وماذا كانت النتيجة ؟ في ليلة ١٥/٥/١٩٤٨م أعلن اليهود عن تشكيل دولتهم في القسم الذي منحتهم اياه الأمم المتحدة وبدأت الدول بالاعتراف بها تباعا ٠ وأخذت عصاباتها المدربة والمجهزة تطرد العرب من ديارهم ٠ وحصلت بينها وبين الجيوش العربية معارك صورية عقد على أثرها الهدنة بين الطرفين مرتان الأولى بتاريخ ٢٠/٦/١٩٤٨م والثانية في ١٨/٧/١٩٤٨م، كان الجانب اليهودي يستغلها في لقط الأنفاس وفي استقبال الهجرة لا سيما المقاتلين والمرتزقة ، وفي التسليح والتوسع ومزيد من طرد السكان العرب ، في حين كان الجانب العربي يلتزم ببنود الهدنة حتى استطاع اليهود احتلال الجزء الذي خصصته لهم الأمم المتحدة بالاضافة الى أجزاء أخرى من الحصة العربية بعد أن طردوا سكانها ٠

وأخيرا جاءت كارثة اتفاقية رودس بين اسرائيل ودول المواجهة العربية منذ شباط حتى تموز من سنة ١٩٤٩م ، والتي رسمت حدود الهدنة بين اسرائيل وكل دولة عربية على حده (٢٦) ٠ وقد تنازل المفاوضون العرب خلالها عن مناطق جديدة كانت بيد العرب ، وتعتبر من أجود أراضي النصيب العربي من فلسطين مثل منطقة المثلث بالاضافة الى أراضي جميع النقب ٠ وقد فوجىء سكان القرى العربية بقرارات التنازل التي حولتهم الى لاجئين ٠ ورغم أن اتفاقية رودس عسكرية ولا تمس المطالب التي تنتج عن التسوية النهائية الا أن اسرائيل كانت تعلن باستمرار أن حدود الهدنة لسنة ١٩٤٩م هي حدود اسرائيل السياسية ولن تتراجع عن شبر منها (شكل ٨) ٠

وهكذا صار لدولة اسرائيل حدود عرفت فيما بعد بخطوط هدنة ١٩٤٩م وتبلغ مساحتها ٢٠ ٧٠٠ كم أي نحو ١٤٦٪ من مساحة الحصة المقررة

لها حسب قرار التقسيم ، وحيل بين عرب فلسطين وتشكيل دولتهم في الجزء الذي خصصته لهم الأمم المتحدة . وضم شرق ووسط فلسطين وتبلغ مساحته ٥٧٩٢ كم والذي عرف فيما بعد باسم الضفة الغربية الى الاردن في نيسان سنة ١٩٥٠م . كما بقى الجزء الثاني في جنوب غرب فلسطين ومساحته ٢٠٢ كم والذي عرف فيما بعد باسم قطاع غزة تحت اشراف الجيش المصري ، وجمدت القضية الفلسطينية عند هذا الحد رغم عشرات القرارات الصادرة عن مجلس الأمن أو الجمعية العامة الخاصة بالقضية أو باعادة اللاجئين الى أوطانهم .

ادعت اسرائيل أن أحكام الهدنة قد اكتسبت صفة الدوام وبالتالي رفضت البحث في الانسحاب عن شبر من الأرض العربية وتخطت قرار التقسيم . وقد دعمها في هذا الاتجاه « التصريح الثلاثي » الصادر عن أمريكا وبريطانيا وفرنسا في أيار سنة ١٩٥٠م والذي مفاده أن هذه الدول ستتدخل لحماية الحدود التي رسمتها اتفاقية الهدنة ، أو في حالة استخدام القوة في المنطقة وذلك لاعادة السلام والاستقرار (أي لاعادة سلام اسرائيل) .

لم يحدث أي طارىء على خطوط الهدنة في السنوات التالية سوى اعتداءات الجيش الاسرائيلي النظامي المتكررة على أراضي الدول العربية حيث أدانت الأمم المتحدة معظمها (٢٧) ، وسوى توسع اسرائيل المستمر في المناطق المنزوعة السلاح بينها وبين مصر وسوريا والاردن حتى بلغت مساحة اسرائيل ٧٦٪ من مساحة فلسطين .

وقد حظيت اسرائيل بحماية الأمم المتحدة لحدودها مع مصر عقب حرب ١٩٥٦ وفتح أمامها خليج العقبة لأول مرة ، واستطاعت بذلك الاتصال بدول جنوب شرق آسيا وشرق افريقيا واستيراد البترول الايراني . وكانت تعمل خلال هذه الفترة دون هوادة في استقبال المهاجرين وفي رفع القوة القتالية لدى شبابها وشاباتها وفي تكديس السلاح الى أقصى قدر ممكن والحصول على المساعدات والقروض والهبات من كل مكان استعدادا لجولات قادمة .

وقد حدثت الجولة التالية في سنة ١٩٦٧م ، حيث بدأت اسرائيل في ٥ حزيران عدوانا شاملا على الدول العربية كان من نتيجته احتلال كامل الأرض الفلسطينية ، وكل جزيرة سيناء من مصر ومنطقة الجولان وجبل الشيخ من سوريا (شكل ٩) وتشبثت فيها وعملت على تهويدها والتخلص

من سكانها العرب وتجريدهم من أراضيهم · وتجاهلت كل قرارات المنظمات الدولية · وهكذا مضى ١٢ عاما على الاحتلال وهي تعرقل جميع مشاريع السلم بينها وبين الدول العربية حتى تكسب الوقت فيرضخوا لشروطها أو حتى يحين الوقت وتستطيع أن تستوعب الأرض المحتلة فتضمها رسميا في النهاية لدولة اسرائيل ، ثم تبدأ بالتحضير لجولة جديدة ·

الحدود الآمنة كشعار زائف يخفي حقيقة أطماع اسرائيل التوسعية :

لم يتوان حكام اسرائيل منذ تأسيس دولتهم سنة ١٩٤٨م عن التصريح بعدم اقتناعهم بحدود الدولة ، وكانوا يعتبرونها دائما مرحلة من مراحل التوسع ، غير عابئين بقرارات المنظمات الدولية المتكررة ، اذ صدر فيما بين عامي ٤٧ ــ ١٩٦٧م ١٠٨ قرارات عن الجمعية العامة و ٤٤ قرارا عن مجلس الأمن و ١٠ قرارات عن مجلس الوصاية في جوانب مختلفة من النزاع (٢٨) · واليكم بعض الأمثلة من هذه التصريحات :

قال بن غوريون رئيس وزراء اسرائيل صراحة في سنة ١٩٤٨م (ستنشأ في المستقبل ظروف ، وعلينا أن نستغل هذه الظروف لتوسيع حدود الدولة ، واذا لم تنشأ هذه الظروف تلقائيا فعلينا أن نصنعها بأنفسنا (٢٩) · وأشار بن غوريون أيضا في سنة ١٩٤٩م في حفلة تخريج الضباط اليهود أن اسرائيل بوضعها الحالي لا تمثل الا جزءا مما يجب أن تكون عليه وحث الضباط المتخرجين لعدم التواني لتحقيق هذه الغاية ·

وخطب مناحيم بيغن زعيم عصابة أراغون ورئيس الوزراء الحالي في تل أبيب قائلا أن اسرائيل بوضعها الحالي لا تمثل الا الخمس ما يجب أن تكون عليه أرض الآباء وأنه يجب العمل على تحرير الأربعة أخماس الباقية » · وقال النائب أريه التمان في الكنيست في مارس سنة ١٩٥٢م « واجبنا افهام العالم بصراحة أن غاية اسرائيل حشد اليهود من أنحاء العالم وتكتيلهم بسرعة وكثافة هي أن تخلق حدودا لها بين العراق والسويس » (٣٠) ·

وجعل الكنيست الاسرائيلي شعاره « حدودك يا اسرائيل من الفرات الى النيل » وعززه بخريطة تشير الى تلك الحدود (شكل ٩) ·

وبعد حرب ١٩٦٧م أعلنت اسرائيل بلسان العديد من المسئولين فيها أنها لن تنسحب من الأراضي التي احتلتها الا لحدود آمنة ومعترف بها ، بالرغم من صدور عدة قرارات من الأمم المتحدة ومنظماتها تنص على انسحاب اسرائيل من الأراضي المحتلة وعدم أحقية اكتساب الأراضي بالقوة ·

تنظر الدول العربية الى الحدود الآمنة التي يمكن الاعتراف بها تلك التي حددها قرار التقسيم سنة ١٩٤٧م للدولة اليهودية · لكن اسرائيل تنفي صفة الحدود الآمنة عن أي خطوط معروفة من قبل · فقد أوضحت اسرائيل صراحة في اجابتها على أسئلة الدكتور غونار يارينج ، ممثل الأمين العام للأمم المتحدة سنة ١٩٧١م أن الحدود الآمنة والمعترف بها لم تتوافر أبدا بين اسرائيل والدول العربية ، وبالتالي فان من الواجب انشاؤها الآن كجزء من عملية حفظ السلام بحيث تستبدل قرارات وقف اطلاق النار بمعاهدات سلام تنشىء حدودا دائمة ومعترفا بها لما يتفق عليه خلال مفاوضات بين الحكومات المعنية وهذا يعني أن مفهومها للحدود الآمنة أوسع من أي خطوط سابقة ، وبالتالي فهي تعني التوسع ·

وبالرغم من مطالبة اسرائيل بالحدود الآمنة الا أنها لم تصرح حتى الآن عن الخطوط التي تريدها حدودا لها ولا عن طبيعتها الجغرافية · وبالاضافة الى ذلك تصدر عن المسئولين الاسرائيليين تصريحات تبدو متناقضة في بعض الأحيان حول حدود اسرائيل ومستقبل الأراضي المحتلة تمثل وجهات نظر مختلفة كحكام ومعارضة أو حمائم وصقور ، ولكن تلك التصريحات تتفق جميعا على أمر واحد هو التوسع · والا فما معنى اجراءات عملية ضم القدس العربية الى اسرائيل عقب احتلالها في حزيران سنة ١٩٦٧م ·

وما معنى الاصرار على مصادرة أراضي العرب في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان واقامة مستوطنات يهودية عليها ؟ وما معنى مطالبة اسرائيل بعدم السماح للقوات العسكرية بعبور نهر الاردن أو نزع سلاح سيناء أو معظمها أو الجولان في حالة الوصول الى تسوية · وكانت رئيسة وزراء اسرائيل جولدا مائير قد صرحت لجريدة « تايمز » اللندنية في ١٣ مارس ١٩٧١م بأن على اسرائيل أن تحتفظ بمرتفعات الجولان والقدس وشرم الشيخ مع طريق يؤدي اليه مع نزع سلاح سيناء مهما كانت التسويات ·

ومشروع ايغال آلون للسلام عام ١٩٧٢م خير مايعبر عن مفهوم اسرائيل للحدود الآمنة حيث يقول بأن البلاد العربية واسعة وان خسر العرب حربا فيمكنهم احتمال نتائجها ، أما اسرائيل فلا تستطيع أن تخسر حربا واحدة لأن معنى ذلك القضاء عليها ، ولابد في ضوء ذلك من أن يكون لاسرائيل حدود تستطيع الدفاع عنها ··· وبعد أن انتقد الخطوط السابقة أكد ضرورة اجراء مفاوضات مباشرة بين الأطراف المعنية لتحديد الخطوط النهائية على أن يكون الحل ضمن اطار الأفكار العامة التالية :

أن لا تضم اسرائيل مواطنين عرب جدد بأعداد ذات أهمية اليها ، وعلى اسرائيل أن تشرف اشرافا تاما على المناطق الاستراتيجية تجاه الشرق وهي المناطق التي يسكنها العرب والتي تقع بين جبال القدس ونابلس ونهر الاردن · غير أنه رأى منح العرب ممرا من الشرق الى الغرب ليسهل الاتصال عبر أريحا ورام الله ويحل بذلك مشكلة الكيان الفلسطيني · ورأى الون كذلك ضرورة وجود خط دفاعي فعال في مرتفعات الجولان لاحباط أية محاولة سورية جديدة لمنع اسرائيل من استغلال مصادر مياهها ، ومنع أي هجوم سوري مكثف ، ورأى كذلك أن قطاع غزة الذي يسكنه الفلسطينيون بصورة مكثفة يمكن أن يشكل جزءا من الدولة الاردنية الفلسطينية ، وتكون ميناءها على البحر المتوسط ، ويمكن ربطها بها بممر يستعمل لتأمين المواصلات · على أن تشرف اسرائيل على الصحراء الاستراتيجية بين غزة والعريش · ويشير كذلك الى ضرورة اشراف اسرائيل على كثير من المواقع الاستراتيجية في سيناء ، وضرورة الاحتفاظ بشرم الشيخ وكل الشريط بينه وبين ايلات · وأصر أن القدس عاصمة اسرائيل ورفض أن تعود الى وضعها المجزأ السابق ، مع امكانية وضع حل ديني يجعل لممثلي الديانة المختلفة وضعا خاصا ·

هذا ومشروع بيغن الذي قدمه في معرض مباحثاته « السلمية » مع مصر سنة ١٩٧٨م ليس عنا ببعيد اذ أنه لا يختلف في جوهره عن مشروع الون ولكن باسم جديد هو مشروع الحكم الذاتي لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقد أصر فيه بيغن على بقاء المستوطنات الاسرائيلية في الأراضي المحتلة بل وأصر على حق توسيعها وبناء الجديد منها ، كما أصر على عدم الاعتراف بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني · وماوثيقتا «كامب ديفيد» ، سوى صيغ جديدة لهذه الأفكار ·

وفي آذار سنة ١٩٧٨م احتلت اسرائيل نحو خمس مساحة لبنان بذريعة القضاء على الفدائيين الفلسطينيين وتأمين حدود اسرائيل الشمالية · ولم تنسحب منها الا بعد تسليمها لقوات سعد حداد الكتائبي المعروف بولائه لها ولاتزال ترفض دخول قوات الأمم المتحدة الى الحدود حسب قرارات الأمم المتحدة تمهيدا لتقسيم لبنان وانشاء دويلة موالية لها على الحدود ·

جميع هذه المشاريع أو الآراء الاسرائيلية عن الحدود الآمنة تهدف الى تبرير السيطرة على أراضي العرب ، وهدر مبادىء عدم جواز اكتساب الاقليم عن طريق الحرب ، وتجيز لليهود الانتقاص من سيادة الدول العربية على أراضيها وتتجاهل أمنهم وحقوقهم · وهذا يذكرنا بالامتيازات الاستعمارية التي كانت سائدة حتى عهد قريب ، والتي كانت تعتمد على

الغزو العسكري لتبرير التوسع الاقليمي ، وقد أصبحت مرفوضة من المنظمة الدولية ، وحلت محلها قاعدة عدم جواز استخدام القوة لتحقيق مكاسب اقليمية القانون الدولي وضرورة اعادة الأراضي التي احتلت على هذا النحو ·

الخاتمة :

تبنت بريطانيا انشاء وطن قومي لليهود منذ كان فكرة ، وعملت على تحقيقها تحت حماية عصبة الأمم ، ثم احتضنتها أمريكا وسائر الدول الاستعمارية وأنشئت دولة اسرائيل تحت علم الأمم المتحدة ، وأخذت هذه الدولة في التوسع على حساب الأرض العربية بتشجيع وتأييد من تلك الدول · اذ تصرح أمريكا بمناسبة وبدون مناسبة أنها ملتزمة بحماية حدود اسرائيل ، ولم تنفك تقدم لها المساعدات المالية والسلاح وتحميها في المحافل الدولية بل وتوجه قرارات تلك المحافل لصالحها ، وتسند اعتداءاتها ·

قامت اسرائيل على أساس انتهاك مبادىء القانون الدولي والاتفاقات الدولية ، وعلى أساس اهدار حق تقرير المصير لشعب فلسطين واغتصاب حقوقه وأرضه متسما بالعنف والالتجاء الى السلاح ، وباستمرار هي المعتدية على الشعب الفلسطيني والدول العربية المجاورة وقد أدينت من الأمم المتحدة عشرات المرات · وليس في جعبتها سوى التوسع المستمر الى أن تحقق أهدافها البعيدة على مراحل زمنية مدروسة ·

وبالتالي لم يبق أمام الحق الفلسطيني وسيلة أخرى غير احقاق الحق بقوة السلاح · فاذا كانت القوى المعادية للقضية الفلسطينية قوية بحيث أجهضت نضالها على مدى قرن من الزمان ولم تمكنها من احراز انتصارات حتى الآن بل مكنت اسرائيل من تنفيذ خططها في التوسع ، فان هذا الوضع لا يفقدها حقها الأزلي والذي لن يتخلى الفلسطينيون والشعب العربي عنه حتى تتاح الفرصة لتحقيقه في يوم من الأيام ·

مراجع مختارة

١ ـ ابراهيم شحاته ـ الحدود الآمنة والمعترف بها ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت سنة ١٩٧٤م ·
٢ ـ ابراهيم شريب ـ نهر الأردن ومشاريع الري ـ بغداد سنة ١٩٦٢م ·
٣ ـ أكرم زعيتر ـ القضية الفلسطينية · دار المعارف بمصر ١٩٥٥م ·

٤ ـ حسن صبري الخولي ـ سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين ـ المجلد ١ ـ دار المعارف بمصر .
٥ ـ الحكم دروزه ـ ملف القضية الفلسطينية والصراع العربي الاسرائيلي (أبحاث فلسطينية رقم ٣٤) .
٦ ـ سالم الكسواني ـ المركز القانوني لمدينة القدس . عمان ١٩٧٧م .
٧ ـ شفيق الرشيدات ـ فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ـ بيروت ١٩٦١م .
٨ ـ شفيق الرشيدات ـ العدوان الصهيوني والقانون الدولي ـ مطبوعات الأمانة العامة لاتحاد المحامين العرب ١٩٦٨م .
٩ ـ قسطنطين خمار ـ موسوعة فلسطين الكنغرافية ـ منظمة التحرير ـ مركز الأبحاث ـ بيروت ١٩٦٩م .
١٠ـ كامل محمود خلة ـ فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩م مركز الأبحاث .
١١ـ الفرد ليلينتال ـ ثمن اسرائيل ـ ترجمة حبيب نحولي وياسر هواري . كتاب الملايين .
١٢ـ محمد عبد الرحمن حسين ـ العرب واليهود في الماضي والحاضر والمستقبل . منشأة المعارف الاسكندرية .
١٣ـ محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها . الجزء الأول . منشورات المكتبة العصرية .
١٤ـ مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين ـ تسعة أجزاء . طباعة رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل . بيروت ١٩٦٥م .
١٥ـ منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطنية ـ سلسلة الوثائق الأساسية ـ بيروت ١٩٦٨م .
١٦ـ الهيئة العامة للاستعلامات ـ ملف وثائق فلسطين الصادر عن وزارة الارشاد القومي المصرية جـ ١ .
١٧ـ الهيئة العربية العليا ـ كارثة اغتصاب المياه العربية سنة ١٩٦٤م .
١٨ـ يوسف مجلي ـ فلسطين والمظهر الجغرافي لمشكلتها ـ مكتبة الانجلو المصرية .
١٩ـ وزارة الخارجية المصرية ـ تصريحات المسؤولين الاسرائيليين . الفصل الرابع ـ حدود اسرائيل والمناطق المحتلة .

الهوامش

(١) مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين . الجزء الأول . القسم الأول ص ٢٠ .
(٢) ابراهيم شريف ـ نهر الأردن ومشاريع الري ص ٨ ـ ١٧ .
(٣) يوسف مجلي ـ فلسطين والمظهر الجغرافي لمشكلتها ـ ٢١ و ٢٤ .

(٤) مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين . الجزء الأول . القسم الأول ص ٣٧ وما بعدها .

(٥) شفيق الرشيدات ـ فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ص ٣١ .

(٦) محمد عبد الرحمن حسين العرب واليهود في الماضي والحاضر والمستقبل ص ٨١

(٧) شفيق الرشيدات ـ المصدر السابق ص ٣٢ .

(٨) حسن صبري الخولي ـ سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين المجلد ١ ص ٦٦ .

(٩) أكرم زعيتر ـ القضية الفلسطينية ص ٢٨٨ .

(١٠) المصدر السابق ص ١١٢ ـ ١١٦ .

(١١) الهيئة العامة للاستعلامات ـ ملف وثائق فلسطين الصادر عن وزارة الارشاد القومي ـ المصرية ـ ج١ ص ٥٧ .

(١٢) شفيق الرشيدات ـ المصدر السابق . ص ٣٧ ـ ٤٤ .

(١٣) محمد عبد الرحمن حسين ـ العرب واليهود في الماضي والحاضر والمستقبل ص ١٥٣ .

(١٤) شفيق الرشيدات ـ العدوان الصهيوني والقانون الدولي ص ٣٧ .

(١٥) شفيق الرشيدات ـ فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ص ٦٦ .

(١٦) شفيق الرشيدات ـ العدوان الصهيوني والقانون الدولي ص ٥٠ ـ ٥١ .

(١٧) حسن صبري الخولي ـ المصدر السابق ص ٤٣٤ ـ ٤٣٦ ومحمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ الجزء الاول ص ٢٦٣ ـ ٢٧٠ .

(١٨) كامل محمود خلة ـ فلسطين والانتداب البريطاني ص ٨٤ ـ ٨٦ .

(١٩) الهيئة العربية العليا لفلسطين ـ كارثة اغتصاب المياه العربية ـ ايلول ١٩٦٤م ص ٢ ـ ١٥ .

(٢٠) الفرد ليلينتال ـ ثمن اسرائيل ترجمة حبيب نحولي وياسر حواري الطبعة الثانية .

(٢١) محضر الجلسة ٢٥/٢٢ لعام ١٩٣٢م ، تقرير رئيس لجنة الانتداب في عصبة الامم . والهجرة اليهودية الى فلسطين . وضع الجامعة العربية .

(٢٢) الفرد ليلينتال ـ ثمن اسرائيل . ترجمة حبيب نحولي وياسر هواري ـ الطبعة الثانية ـ ص ٥٧ ـ ٦٨ .

(٢٣) انظر شفيق الرشيدات ـ فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا . ص ١٧٨ .

(٢٤) وهو خط دفاعي اقيم في شمال فلسطين أثناء الحرب العالمية الثانية .

(٢٥) شفيق الرشيدات ـ المصدر السابق ـ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٦ .

(٢٦) اكرم زعيتر ـ القضية الفلسطينية . ص ٢٣٧ ومابعدها .

(٢٧) العكم دروزة ـ ملف القضية الفلسطينية والصراع العربي الاسرائيلي . مركز الأبحاث : أبحاث فلسطينية رقم ٣٤ ص ٧٦ .

(٢٨) ابراهيم شحاته ـ الحدود الآمنة والمعترف بها ص ٢ ـ ٤ .

(٢٩) ابراهيم شحاته ـ المصدر السابق ص ١١ .

(٣) وزارة الخارجية المصرية ـ تصريحات المسؤولين الاسرائيليين . الفصل الرابع . حدود اسرائيل والمناطق المحتلة .